صحة وهم على غاية الانكار تهكموا واستهزوا فلولاه لقالوا هذا الذي زعم
انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها
بفرط اجتهاده في الدعا الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها
انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد
ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة
على انه لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى
عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار
ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم
الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله
حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن
ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم
انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل والمعجزات
بل هم اضل سبيلا من البهايم لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسي اليها
وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهولا لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه من اساة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العذاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد
حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هولا ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هولاء تودي الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق
ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهولا مقصرون
يستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر
الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم
اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه
وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع
الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك
كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال

وظل

وظل ممدود ولو شا لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون
بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه
لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا
يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشمس الشعاع
موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه
الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس
لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق
وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها
وقيل مد الظل لما بنى السما بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شا لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليلا لطريق من يهديه فانه
يتفاوت بتفاوتها ويتحرك بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا شيا فشيا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند
قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا لقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم
بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت
والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر
وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير على التوحيد على ارادة الجنس نشرا
ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة
والكساي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف
بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا
من السما ما طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء
والوقود لما يتوضا به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المومن
طهور انا احدكم اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبعا احداهن بالتراب
وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جا للمفعول
كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الما به اشعارا
بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الما الطهور اهنى وانفع مما